

القسم الثاني (السياسي)
الحكم على أساس ديني.

الفصل الأول
دين محلي أم فهم ضيق؟

يدعي كل صاحب دين^(١) أن دينه عالمي وقد جاء للناس جميعاً^(٢)، وعن طريقه فقط يمكن الخلاص يوم القيامة (الدينونة)^(٣)، حتى أصحاب الدين الوضعي يرون أن دينهم عالمي وباقٍ وخالد، وللمحق فإن بقاء الكثير من الأديان عبر عشرات القرون بذات الصيغة والصبغة التي نشأ عليها ولم تتعوره إلا القليل من التعديلات أو الشروح والإضافات ليعث العقل على التفكير في أن بعض تلك الأديان يخاطب الفطرة السليمة للإنسان، ولكون السفر كله يتحدث عن الدين الإسلامي خاصة، فسنقصر الحديث في البحث على الإسلام، وقد قيل إنه دين جاء للعرب فقط، وغالي البعض فقال إنه دين لقريش فحسب، وقد نجد اليوم من لا يؤمن إيماناً كاملاً بضرورة العبادات الدينية الإسلامية وخاصة عبادة الحج^(٤)، ومازال الأمر محل شك لدى البعض، ويُنظر لبعض آي القرآن بوصفها تحدد المهمة الرئيسة لمحمد في إنذار قومه وعشيرته من بني هاشم، ثم لما توسع كثيراً أُطلق له العنان في إنذار قريش كلها، ولما كان المدُّ أكبر أُذن له بإنذار العرب كلهم، ونرى من أحداث السيرة أن الرسول كان أكثر تعاطفاً مع العرب عن غيرهم من بقية الأعداء.^(٥) ونستطيع الآن أن نحشد الآيات التي تؤكد عالمية الدين الإسلامي إزاء الآيات التي تشير إلى المحلية والقومية العربية:

فمن الآيات التي تدل على العالمية:

قوله تعالى: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (آل عمران: ٨٥) وهي آية مدنية وستعرض لمناقشتها في الحديث عن الوراثة النبوية.

قوله تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الثَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ

١- هناك نظريات كثيرة ومتعددة تحت الحكم البورقراطي، وأله كان المسئل للقضاء على الخلافة الأموية - مثلاً - عند الدعوة العباسية، وإقامة الخلافة العاطمية على أساس ديني، فالحديث عن كذا كله سيكون محله مقربنا (الحروب الإيرانية) وقد أشار إلى الكثير من هذا الأستاذ الدكتور - إمام عبد النجاشي - (الطباعية) طبعه علم المعرفة بالكويت) وهك عبرات الكتب عبره تحت تلك القصة ولما أنا هنا أمر مروراً مرة.

٢- خلاف اليهود الذين لا يرون ذلك؛ فهم إله وحدهم هو يهود، هم من عرفوه واعتدوا إليه ولا يسمحون لأحد غيرهم بمعرفته، وأن يشاركهم رحمة وحنه، ولا يشيرون بينهم ويرعون عن الناس به، وهذا شيء يستحق الحديث عنه في سفر كامل (هذا من باب إغراق الأعين لتأثرى النور)

٣- تلك هي المصلحة الإنسانية في العلاقات الطبيعية، فالتكثيرون يواصلون مختلف وإن التقوا جميعاً في الكثير من أمور الدين كوجده الله (التيارات السنية) وإبنا محل الخلف في يوم القيامة باليهود يرى أن يهوده لا يعبه وإن عبته فيفكرن أياً ما عتدوه كما حكى القرآن في المشهور (القرءة: ٨٠)، والمسيحي يرى أن المسيح سيخلصه، أما المسلم فيرى أن مفتاح الجنة قوله لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وفعل الخيرات فحسب كما يقول القرآن الكريم منج الإسلام وحنه.

٤- في تاريخ الفرق والمناهج فرق لا تؤمن ببعض سور القرآن وإياته، بومن هؤلاء من رأى أن الآيات التي حثت على حصوم النبي (مثل أبي لهب) وتولتهن بالعلم لا بعن أن تكون من القرآن لأنها لا تتشبه مع قوله تعالى "لَنْ يَكُونَ جِزْيًا" في لوح محفوظ (البروج: ٢٢-٢١) بل عالت إحدى فرق الخوارج علواً معياً أدى بها إلى الطعن في سلامة بعض سور القرآن، فالمشورية الكرت أن تكون سورة يوسف من القرآن ورمع المعجزة أنها قصة عشق فكيف يجوز في حكم المعن أن تكون من سور الكتاب المنزل توفيق الطويل أسس الفلسفة، دار النهضة المصرية، ط٤، ١٩٥٠، ص ٣٨٩، وهك فرق ذلك الكثير، مما يؤكد أنهم اتبعوا أهواءهم لا دينهم.

٥- تخبرنا السيرة المؤكدة أن الرسول لما ضافت به مكة بعد عام الحزن (وفاته أبي طالب وخنيجة) رحل إلى الطائف ولم يرحل إلى بلاد أخرى كالحضنة أو الشام حيث إقرار النبوة وربما يتبع منطق النبي، ثم لما كان من أهل الطائف الجحد والكران والإهانة فيه رفض حرد الدعاء عليهم، ولما كان له أسرى في بدر رفض قليمهم وقداهم وتأخر تبول القرآن في ذلك حتى قتمهم من الغداء، ولما حج مكة قل لهم: ادعوا، فتمت القصة، ثم عفا بتفاعة البعض عن كل أحد ساءهم من القرشيين، ولكنه لما كان في المدينة أن ياتعيل كعب بن الأشرف اليهودي ولم يرحم بن الصير ولا بني قينقاع وقد أباد جميع مقاتليهم ورحل في قريظة وطمأن يتبع اليهود حتى إجلادهم من شه الجزيرة العربية (أول الحشر) وفعل عمر بن الخطاب (أمر الحشر) ما ينبغي كذا هذا بل الدعوة عرضها العرب سواء آمنوا طوعاً أو أكرهوا حتى حين.

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلُ لُهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (الأعراف: ١٥٧-١٥٨)

قوله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧)

وقوله تعالى: " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا " (الفرقان: ١)

وقوله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (سبأ: ٢٨)

وقوله تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (الأعراف: ١٥٨)

وقوله تعالى: " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ " (الأنعام: ١٩)

وقوله تعالى: " وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (الأنعام: ٩٢)

وقوله تعالى: " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَبِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ " (الشورى: ٧-٨)

وقوله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (الأنبياء: ١٠٧)

نلاحظ أن أغلب تلك السور مكي التنزيل، وأن الحديث عن أم القرى جاء مرتين، والمقصود بها مكة (حيث قريش) ولكنه يتحدث عن حولها، ولا يحد من حولها حدود، فتتسع شرقاً وغرباً إلى ما لا نهاية له، وقد رأينا العشرات من الكُتَّاب المسلمين يبحث قضية توسط الجزيرة العربية للعالم ما يسهل انتشار الدين منها إلى بقية الأرجاء المعمورة آنذاك (حيث العالم القديم: آسيا - أفريقيا - أوروبا)

وتلك الآيات يساندها واقع الحال من انتشار الإسلام في شتى الربوع، وقد وصل إلى الصين وأوروبا، وأفريقيا، ولم يعد هناك اليوم من لم يسمع بالإسلام.

ومن الفضل ما شهد به الأعداء، وفي إطار هذا الصدد أستشهد بقول الكاتب الأشهر برنارد لويس، حيث يقول: " لقد ظل عالم الإسلام قروناً عديدة في طليعة الحضارة الإنسانية والإنجازات البشرية، بل لقد ظل الإسلام نفسه مرادفاً في نظر المسلمين للحضارة، ولم يكن خارج حدوده إلا الهمجية والكفر... وكان المسلمون على وعي - بطبيعة الحال- بوجود مجتمعات أخرى تتمتع بقدر ما من الحضارة على وجه الأرض، في الصين وفي الهند وفي ديار المسيحية، ولكن الصين كانت بعيدة عنهم ولا يعرفون الكثير عنها، وكانوا بسبيلهم إلى إخضاع الهند وتحويلها إلى الدين الإسلامي، وأما العالم المسيحي فكانت له أهميته الخاصة لأنه كان يمثل المنافسة الجادة الوحيدة للإسلام من حيث إن المسيحية عقيدة عالمية وقوة عالمية، ولكن تلك العقيدة كان قد حلّ محلها في نظر المسلمين- التنزيل الإسلامي النهائي. وكانت تلك القوة تتغلب - بصورة مطردة - طاقة الإسلام التي تسترشد بالهدي الإلهي." (١) وتلك رؤية الغربيين المحدثين لواقع الدين الإسلامي، وقال: إنه التنزيل الإلهي النهائي، تصديقاً للقول بأن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية. ثم يستطرد برنارد قائلاً: "وعندما وصلت القوة الإسلامية إلى ذروتها، لم تكن هناك سوى حضارة واحدة تضارعها في مستوى الإنجاز وامتيازه وتنوعه، وتلك - بطبيعة الحال - هي الصين. ولكن الحضارة الصينية ظلت في جوهرها حضارة محلية؛ إذ اقتصر على إقليم واحد هو شرق آسيا، وعلى جماعة عرقية واحدة. وقد صدّرتها الصين في حدود معينة، ولكن التصدير اقتصر على الشعوب المجاورة وذات القرابة، على عكس الإسلام الذي أنشأ حضارة عالمية، ومتعددة الأجناس والأعراق، ذات طابع دولي، وربما استطعنا وصفها بأنها" عابرة للقارات".

كان الإسلام يمثل أعظم قوة عسكرية على وجه الأرض، إذ كانت جيوشه تقوم في نفس الوقت بمهاجمة أوروبا وأفريقيا، والهند والصين، وكان القوة الاقتصادية الأولى في العالم.

وفجأة تغيرت العلاقة، إذ بدأ الأوروبيون، حتى قبل عصر النهضة، يحرزون تقدماً ملموساً في فنون الحضارة ويقدمون ما يسمى بالمعرفة الجديدة، شرعوا يتقدمون بسرعة لاهثة، فسبقوا التراث العلمي والتكنولوجي، ثم الثقافي، للعالم الإسلامي بأشواط طويلة.

ولم يكن المسلمون يدركون ذلك بل ظلوا رداً طويلاً من الزمن غافلين عنه، فتوقفت حركة الترجمة الكبرى التي كانت قد أطلعت المسلمين وغيرهم من القراء العرب على الكثير من الكتب اليونانية والفارسية والسريانية.

كانت ديار الإسلام لا تكاد تدري شيئاً عن النهضة الأوروبية وحركة الإصلاح الديني، والثورة

١- برنارد لويس، آين الحظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ترجمة: د محمد علي، تقديم د ريعوف عباس ص ١٠١ وما بعدها.

التكنولوجية؛ إذ كان المسلمون لا يزالون يميلون إلى الاستخفاف بالمواطنين وراء حدودهم الغربية باعتبارهم من البرابرة الذين يعيشون في الظلام، وباعتبارهم أدنى حتى من كفار آسيا في الشرق الذين أحرزوا درجة أعلى من التقدم، إذ كان لديهم من المهارات والمبتكرات ما يمكن الإفادة منه، ولم يكن لدى الأوربيين شيء من هذا، ولقد كان هذا الحكم يتمتع بدرجة معقولة من الصحة وقتاً طويلاً، لكنه عفي عليه الزمن فأصبح ينطوي على خطر داهم.^(١)

ويتحدث برنارد عن الصراعات الداخلية في العالم الإسلامي فيقول: " كان السلطان العثماني مثل قريته ومنافسه امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة، لا يعدم المنافسين السياسيين والتحديات الطائفية داخل عمله الديني الخاص، وكان السلطان أشد نجاحاً من صاحبه في التصدي لهذه التحديات. ففي نهاية القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر، كان للعثمانيين اثنان من الجيران المسلمين، أعرقهما السطنة المملوكية في مصر، وعاصمتها القاهرة، وهي التي كانت تحكم كل بلاد الشام وفلسطين، وأهم منها الأماكن المقدسة في الإسلام في غربي بلاد العرب، وكان الجار الآخر في بلاد فارس، التي توحدت من جديد في ظل أسرة حاكمة جديدة، وروح نضال جديدة، وكان مؤسس الأسرة الشاه إسماعيل الصفوي (الذي حكم من ١٥١١ - ١٥٢٤) شيعياً يتكلم التركية ومن أذربيجان، وقد أخضع جميع أراضي إيران لحكم رجل واحد لأول مرة منذ الفتح العربي في القرن السابع، ولما كان زعيماً دينياً إلى جانب كونه - وربما إلى درجة أكبر- زعيماً سياسياً وقائداً عسكرياً، فلقد جعل المذهب الشيعي الدين الرسمي للدولة، وهكذا فصل بين مملكة إيران الإسلامية فصلاً حاسماً وبين بقية جيرانها المسلمين على الجانبين، أي في الشرق حيث وسط آسيا والهند، وفي الغرب حيث الإمبراطورية العثمانية."^(٢)

ولعل الصراعات داخل الحضارة الإسلامية والرغبة في السيطرة والحكم هي التي أدت إلى انحسار الإسلام عن أن يصل إلى العالم المعمور برمته، ومن الأدلة الدامغة على صدق ذلك ما أكده بوزبق سفير الامبراطورية الرومانية المقدسة في استامبول الذي ذهب إلى القول بأن التهديد الفارسي وحده هو الذي أنقذ أوروبا من الفتح التركي الوشيك لها، فكتب يقول: " إننا نرى على الجانب التركي موارد امبراطورية جبارة، وقوة لا يشوبها وهن ويقظة وانتباهاً، وأما على جانبنا فنجد فقر العامة وترف الخاصة، وقوة مثلومة وروحاً منكسرة، ونقصاً في قوة التحمل والتدريب، فالجنود عاصون،

١- المصدر السابق، يتصرف بيبر، ويلاحظ أن المؤلف طوال الكتاب يتحدث عن الإسلام والمسلمين باعتبارهم الدولة العثمانية، ويختصر الإسلام والحضارة الإسلامية في دولة الأتراك التي كانت تهدد أوروبا طوال القرون الوسطى، ولم يدرك أن العثمانيين لما فرضوا سيطرتهم على دولة المماليك(مصر - الشام - الجزائر) قد أغلقوا عليهم كل منافذ العلم حتى فوجئت مصر بحملة نابليون بونابرت على مصر والشام عام ١٧٩٨م، وظهر فيها مقدار الخلل الطب العربي الإسلامي، وكان لجهود علماء الحملة الفرنسية أكبر الأثر في النهضة التي أحدثها محمد علي بالانفتاح بالغرب المتقدم، ومن هنا يمكن القول إن الحضارة العثمانية كانت ظلاماً في مكان وبورا في مكان آخر، ولكن سبب التحيز على الدول الغربية هو ألا تجد فرصة للتحرك، فالعربي لم يتبين بالسلطة لحدس وعري وعرب ولم يكن أصل الإسلام ولا فلسفته ولا يتحدث بلغته، ولذا وجب إحصاءهم بالأمرى، والحنيت في هذا يقول، وبالخلاصة أن الحضارة العثمانية كانت تسمى بليثيت عرشها ويسيطر لغوها في العلم باعتبارها دولة عظمى لا رابعة العدالة والمساراة في الأقاليم التي تتصعق لها.

٢- المصدر السابق، ص ١٠١ وما بعدها يتصرف بيبر للغاية، وهو أسد الأقران كلها للتدليل على أن الدين الإسلامي لم يكن ديناً فقط بل كان ديناً ودولة وحضارة أسهمت بوفرة في الإرث الثقافي الإنساني.

والضباط مقترون، وانتشر الانحلال والتهور والسكر والتبذل، وأسوأ ما في الأمر أن العدو قد اعتاد النصر واعتدنا الهزيمة، هل لنا أن نشك فيما ستكون النتيجة؟ إن بلاد فارس وحدها هي التي تتدخل لصالحنا، إذ إن العدو وهو يسرع بالهجوم، لا بد أن يحذر دائماً، من الخطر المترص بصفوفه الخلفية، ولكن بلاد فارس تؤخر من وقوع المصير الذي ينتظرنا ولا تستطيع إنقاذنا، فبعد أن يسوي الأتراك أمرهم مع بلاد فارس سوف ينقضون على نحورنا".^(١) وهذا الكلام معناه أن الحروب الإسلامية الإسلامية أخرت الانتشار الإسلامي في غير ربوع الإسلام.

ولما وقعت الخسائر للشاه إسماعيل الصفوي عام ١٥٢٣ أرسل خطاباً إلى الامبراطور شارل الخامس، يُعرب فيه عن دهشته من أن الدول الأوروبية يحارب بعضها بعضاً بدلاً من ضم الصفوف في وجه العثمانيين، ولم تلق تلك المناشدة أذناً صاغية، ولم يرسل الامبراطور رداً على الشاه حتى عام ١٥٢٩، وكان الشاه قد توفي قبل ذلك بخمس سنوات.

يصف الدكتور رءوف عباس الخلافة العثمانية قائلاً: " لقد كانت الإمبراطورية العثمانية كياناً سياسياً إقطاعياً ضعيفاً، لم تتحول قاعدتها في الأناضول وعلى ضفاف البوسفور إلى "قلب" يضبط حركة الولايات المختلفة باعتبارها "أطرافاً" بل كانت السلطة المركزية للدولة لا تكاد تُحس في الولايات، اللهم إلا عندما تقوم حركة عصيان من جانب أحد الولاة أو القوى المحلية، عندئذ كانت الدولة تضمن استمرار سيطرتها على الولاية عن طريق تأليب مراكز القوى ضد بعضها البعض، ثم تتدخل عسكرياً في نهاية المطاف لوضع الأمور في نصابها، وبحكم طبيعة السلطة الإقطاعية كانت الدولة لا تهتم إلا بجباية الضرائب، وحفظ الأمن، وإقرار العدل، ولا تحمل على عاتقها عبء الخدمات المختلفة: تعليمية، أو صحية، أو حتى عمرانية أو غيرها، فتركها للرعية تدبرها بوسائلها الخاصة".^(٢)

كان حال الفرق والمذاهب الإسلامية المتطاحنة يتألف من ثلاثة لاءات: لا اعتراف، لا تعایش، لا تعامل.

ومن هنا فالقول الأكيد أنه ولو كان الإسلام دعوة عالمية اتخذت خطوطاً عريضة للعالمية، فبدأ الرسول بعشيرته الأقربين، ثم قومه، ثم أهله، ثم قوميته، ثم حمل أتباعه الراية ونشروا الإسلام في بلاد كثيرة إما بالسيف أو بالدعوة (عن طريق الرحلات والتجارة وغيرهما) فإن الخلافات المذهبية

١- المصدر السابق، ص ١٥
٢- المصدر السابق، ص ٢١، وما بعدها

هل القرآن العربي يُخطاب به أناس غير المتكلمين بالعربية؟

ناقش عباس محمود العقاد تلك القضية في كتابه: ما يُقال عن الإسلام، وكان مما قال في ذلك: “ قال سوندرز: “ إن الأوروبيين المتخصصين للإسلاميات ينقسمون انقسامًا شديدًا في هذه المسألة (المحلية والعالمية).

فإن موير يرى أن الدعوة من البداية إلى النهاية دعوة للعرب وحدهم ولم يدع بها أحد غيرهم..

ولكن نولدكه وجولدزيهر وأرنولد وكلهم ثقات - يقولون إن محمداً عليه السلام، أراد بدبته منذ أوائل الدعوة أن يكون ديناً عالمياً، ولم يرد به أن يكون مجرد عقيدة وطنية محلية، ونقول (العقاد): إنه لو ثبت أنه كتب إلى هرقل وملك الفرس وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لانتهى الشك بالواقع، ولكن آراء الباحثين - مع الأسف - لا تميل إلى قبول هذه الأخبار، ومونتجمري وات يقول إن هذه القصة لا يمكن أن تقبل على حسب هذه الروايات.“

ثم يرد العقاد فيقول: “ولسنا نرى دليلاً على التحرز- ولا على الجد - في استناد الكاتب إلى نزول القرآن باللغة العربية لتعزيز حجته على تخصيص الإسلام بمن يتكلمون اللغة العربية؛ إذ كيف كان يريد أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية ولم تكن مقصورة على المتكلمين بلغة الرسول؟ إنه يمنع بذلك أن توجد في العالم دعوة عالمية إنسانية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بالسنة الناس أجمعين.“^(١). وأرى أن تلك الحجة وجيهة؛ ولأنه لا توجد لغة يفهمها الناس جميعاً؛ فإن تلك الحجة للمحلية تسقط متهاوية متخاذلة.

فالنص على أن القرآن نزل بهذه اللغة لينذر به قومه، وهي لغة قومه، كل ذلك يثير تساؤلاً: إذا كان القرآن نزل وبلغ بهذه اللغة، ألا يدل ذلك على أن الرسالة هي لقومه العرب فقط؛ لأنهم هم الذين يستطيعون أن يفهموا القرآن ويقوموا بتكاليه؟

وكيف يكلف غيرهم بالإسلام مع أن كتابه لا يفهم بلغة غير العربي، ولا يمكن التعبد به ولا حفظه مع ذلك، وليس من عدل الله أن يطالب أمة يوم القيامة باتباع رسول لم يأت إليهم، ولا وقفوا على

1-عباس محمود العقاد، ما يُقال عن الإسلام ، ج2- مجمع البحوث الإسلامية،1432هـ، ج2، ص25،نوما بعدها

كتاب بلسانهم؟

وَيُجَاب على ذلك بأن جميع الآيات تدل على مجرد وصف القرآن بأنه عربي، وليس فيها ما يدل على قصر توجيهه على العرب، بل ذكرت أن الحكمة في كونه عربياً تيسير فهمه على الناس، وتعقل ما فيه وإمكان تذكره وتدبره، ومعنى هذا أن اللغة العربية لون ثقافي فقط، لا شأن له في العصبية والعنصرية^(١)، وقد بلغ النبي الرسالة للعرب بلغتهم وهي لغة القرآن، وإلى جانب كون اللغة العربية لغة النبي ولغة بيئته التي نشأ فيها وابتدأ منها دعوته، فإن لها من الميزات على سائر اللغات ما رشحها وجعلها اللغة الرسمية الأولى لأعظم رسالة في الوجود.

ولكن أيكون ذلك القول منصرفاً أيضاً على اللغة (العبرية) أو الهيروغليافية والآرامية التي أنزلت بها التوراة والإنجيل^(٢). ولا تقتف اللغة دليلاً مطلقاً على عالمية الدين فقد يصطدم ذلك مع قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (إبراهيم:٤) فعلى ذلك يكون تعدد اللغات راجع إلى تعدد الأقسام وما اصطلحوا عليه من لغات يتفاهمون بها، ولسنا في معرض الحديث عن أصل اللغة وتبليد اللغات كما تقول التوراة في بابل^(٣) وقد ترجم الرسول رسائله للملوك ولم يرسلها بالعربية، فهمنا منه أن اللغات تتغير، ليس مفروضاً عليها فهم اللغة العربية. وقد ظل فهم القرآن مرتبطاً في الكثير من أجزائه - كذا الحديث النبوي الشريف - بفهم اللغة العربية، بل لقد مرّ بنا أن العرب أنفسهم كانوا لا يفهمون الكثير من الكلمات في القرآن، ومرّ بنا بحث الكلمات الأجنبية في القرآن، وليس مفهوماً - لديّ - أن العرب كلهم على درجة واحدة من الفهم اللغوي للقرآن، ومرّ بنا أيضاً أن الدلالة اللغوية والنحوية في القرآن لم تتفق مع ما وضعه العلماء لفهم العربية وخالف النص القرآني - كثيراً - الاستخدام النموذجي لمعايير الفصاحة اللغوية.

التنافس: (المذاهب المتصارعة) قد يكون من دعاوي المحلية ذلك التنافس الإثني والقومي على الزعامة، والاختلاف في فهم الدين الإسلامي، وكل دعوة ومذهب وحزب يدعو إلى نفسه بوصفه الأفضل والأصلح والأفهم لكتاب الله، ولليوم هناك دعوات - سبق الحديث عنها - لرفض السنة

١- كما كان المذهب الشيعي يرفع الأئمة ويصفهم بأنهم من أبناء علي بن أبي طالب من قاطنة فقط، فهم بهذا يرفعون من شأن العربي والعصبية العربية فقط، ويختصرون كل ما عاها، وكذا الخوارج وإن دعوا إلى أن يكون الخليفة من غير قريش ولو كان عبداً حبشياً، فإنهم لزموا بالأرضي فحسب، وهو ألا يكون من قريش، ولم يجره عن العرب مطلقاً طوال دعوتهم المستمرة قرناً، والذلة الأموية زهقت العصبية العربية فوق كل عصبية ورحعت قريشاً فوق كل العرب، وأقرت من تروج امرأة من قريش ولم يكن قرشياً بنقلها (الحجاج بن يوسف الثقفي نموذجاً) وكانت ترى أنه لا كفاة لعجمي مهما طال عتقه بعمل أو عربي، ولذا سهل على العباسيين رفع شعار المساواة في دعوة هدم الذلولة الأموية على يد من لا يعرفون العربية وهم أهل خراسان فقط.

٢- يقول الدكتور محمد عسارة: "إن التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى - على موسى عليه السلام. وموسى قد وُكِّدَ ونشأ، وتعلم، ونبئت وأوحى إليه بمصر. وولدت عليه التوراة باللغة الهيروغليافية - لغة ولغة بني إسرائيل في مصر - ولقد مات موسى ونحن بمصر، قبل دخول بني إسرائيل - بقيادة يوشع بن نون - إلى أرض كنعان - فلسطين - وقبل نشأة اللغة العربية بكثير من مائة سنة - إذ العبرية - في الأصل - لهجة كنعانية ثم يقول "الذي هي التوراة التي تزلت على موسى بالهيروغليافية؟ هل لها وجود أو أثر في التراث النبوي اليهودي؟ والجواب أنه لا وجود لهذه التوراة لدمحمد عسارة - تقرير علمي، هدية مجلة الأثر الشريف لشهر ذي الحجة 1430هـ، ص12 في معرض الحديث عن تحريف التوراة ويقول عن الإنجيل كذلك "لقد جاء المسيح - عليه السلام - بإنجيل - أي بشارة بشر بها باللغة الآرامية - فلين هو هذا الإنجيل؟ إنجيل المسيح كص33

٣- ضللت مئات الكتب التي تهتم بأصل اللغة ونشأتها، وكان العرب يعين الإسماء في ذلك، غير أن الإسماء الأكبر - لألسن - كان للأوروبيين الذين جعلوا المنصية من وجودها المتروعة وأجلك فقط في كتاب واحد بحث نشأة اللغة وهو كتاب بعنوان "في نشأة اللغة (من إشارة اليد إلى نطق اللام) تأليف مايكل كورابيس، ترجمة - محمود ماجد عمر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٢٠٠٦، ص١٣٥.

ورفض حجيتها في الدين، لما كان موضوع التنافس كبيراً وشاكاً فإني فضلت الحديث عنه في الفصل القادم.

عدم إلغاء الرق:

موضوع الرق من الموضوعات التي أخذت حيزاً كبيراً من المستشرقين في القرنين الأخيرين فقط، حيث تمّ إلغاء الرق بقوانين سنتها بريطانيا عام 1833م، وقد قامت في الولايات المتحدة الأمريكية يطبقها الغرب على الدول التي تمارس الرق، ومن هنا بدأ المستشرقون في توجيه سهام النقد إلى الإسلام بوصفه لم يمنع الرق رغم حديث أهله عن كونه الدين الخاتم، لقد اطلعت على أغلب الكتابات الحديثة لتقويض تلك الإدعاءات من وجهة النظر الإسلامية، غير أنني لم أجد فيها ما يشفي الغلة (العقاد - فريد وجدي- الرافي وغيرهم الكثيرون) والغالب أن التفسير الذي أقره جورج فلهلم هيجل الفيلسوف الألماني هو الأكثر إقناعاً وعمقاً لليوم، في مسألة نشأة الرق واستمراره⁽¹⁾، ولما جاء الإسلام كان مصدر الرق أحد أمرين: الحرب (حيث الأسرى) والفقير، حين يعجز المرء عن سداد ديونه كلها، فيضطر أن يبيع حرته لصالح دائته.

وقد رأينا في الكتاب المقدس (العهد القديم - العهد الجديد) وجوداً طاعياً للرق، وكذا في تقسيم الطبقات في الهند، حيث تكون طبقة البراهمة وهم رجال الدين والحكم في قمة الهرم الاجتماعي، وطبقة العبيد والأرقاء في ذيل السلم الاجتماعي، واعتبروهم نجس، لا يجوز مصافحتهم ولا الحديث إليهم فضلاً عن مخالطتهم.

ومن هنا، فإن الرق ظل محتفظاً بأغلب سماته عبر الرحلة البشرية ولم تتدخل الأديان لإلغائه على مدار القرون،⁽²⁾ وقد ارتبط الرق بالدين كثيراً، وقد كان للكثير من الأنبياء كثيراً من العبيد، وقد كان للرسول محمد (ص) بعض العبيد وأهمهم زيد بن حارثة الذي اختار البقاء بجوار النبي عن حياة الرق، وهذا استثناء لا يُقاس عليه مطلقاً.

وقد احتفظ القرآن بهذا، ولا أرى ما يراه البعض من الحديث عن أن القرآن قد حَضَّ على التخلّص من الرق تدريجياً، ومن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتِنَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً"

١- يرى هيجل أن السبب في ظهور الرق في العالم الإنساني هو نمز الرعي الذاتي لدى الإنسان، المختلف عن الوعي الغريزي لدى الحيوان، ومن ثمّ فلما تفهم الإنسان وعيه الذاتي بالأنبياء من حوله في مرحلة متقدمة من البشرية، أراد أن يدعّم ذلك بالوعي الاجتماعي، وكثفت وسيلة الانزعاج الرعي الاجتماعي أن ينحط الآخر المقلد له في وعيه الاجتماعي لحساب الرجل المعترف بوعيه الاجتماعي، فهاضما الصراع بينهما، حتى ربيع أحدهما تحت تأثيرات مشابهة أن يكون أحدهما تابعاً للآخر، ومن هنا نشأ الرق الشرقي، وهو موجود ليوم ولن ينتهي لأن ملكات البشر تتوارث، وقد كان الرجل الأبيض الغربي يزعم أن عليه رسالة أخلاقية بتقليص الرق الأسود من الجمالة، وأن احتلال بعض الأمم لبعض الآخر كان بسبب ذلك، وقد سمعنا كثيراً أن الأمم المتجاهلة لا تستطيع أن تنير شرفها، وقد طلل هذا حتى القرن العشرين وربما مستمراً لليوم في الحديث عن الثورات ضد الطغاة فيرون وجردهم يهله لا يوجد بديل صالح كمنهم (راجع هيجل العنق في التاريخ، ظاهريات الروح، ترجمة د. إسماعيل عبد الفتاح إمام، دار الشؤون دت)
٢- انظر في موضوع الرق دراسة موسعة أكثر كتاب الرق: عهد السلام الترمائبي، المجلس الوطني للثقافة والعلم والآداب، الكويت (عام المعرفة) ٢٠٢٤، نوفمبر ١٩٦٩. حيث استفاض هذا الكتاب في تحليل تلك الظاهرة جيداً

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ قَدِيدَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَتْلِكَ الْآيَةِ وَمَا هَلَهُ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (النساء:92)

وقوله تعالى: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيئِكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (المائدة: 89) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوَعَّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (المجادلة: 3) وقوله تعالى: "فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ" (البلد:13-11)

وعتق الرقاب في الإسلام جاء ككفارات، من ذنوب وقعوا فيها، ولما كانت تلك الذنوب دورية فيجب- من وجهة نظر الدين- أن تبقى تلك الكفارات باقية، فلن ينتهي القتل الخطأ، ولن يتوقف الحلف وأظن أن هذه الدعوى هراء، فالإنسان سيظل مُقسماً إلى: سادة، وعبيد، وستعمل الدول والسياسات على تفعيل ذلك، وإن في صور متباينة فحسب عما كان مألوفاً في السابق، وما يتغير ويتطور هو المظهر الخارجي لنوع العلاقة فحسب. (ألا ترى أن أوربا وهي تطالب بتحرير عبيدها تسترق دولاً بأسرها؟).

والإسلام لم يعتق الرقيق في أي مرحلة من المراحل (بدء الدعوة - ظهور الدولة - الخلافة الراشدة يضاهاها، فإننا نقول مطمئنين: "إن الإسلام لم يدع لإلغاء الرق بوصفه شيء طبيعي يستمر مع وجود العمران البشري، ومن ثمّ فلا غضاضة على الإسلام في ذلك ولا ينبغي القول بأنه محلي بسبب هذا، فقد كان في اليهودية رق، وفي المسيحية رق، والحقيقة إننا لن نسلم من وجود فقه خاص في الإماء والحرائر، وقد ظلت الدولة العباسية ومن قبلها الأموية تُعلي من شأن الحرائر وأولادهن على حساب أبناء الإماء، وأكبر شاهد على ذلك أن ولدي الخليفة الخامس في الدولة العباسية: هارون الرشيد: المأمون والأمين قد تم تنصيبهما لولاية العهد بحسب أهمها لا بحسب تقدمها في السن، فعبدالله المأمون كان أكبر سناً وأوفر عقلاً من محمد الأمين، غير أن أمه فارسية (أمة غير حرة) تدعى مراحل، وكانت أم الأمين هي زبيدة الحرة القرشية، فليُقَدِّم ابنها على غيره وإن نقصته الكفاءة، وأقول لقد رضي المأمون بهذا، ولم يثر عليه إلا عندما خلعه من ولاية العهد فحسب.

سنده في ذلك أن اقتصاد الشمال لم يكن يعتمد على الرقيق في الكثير مثل الجنوب.

ولكل هذا تنهاوى تلك الدعوى لمحلية الإسلام، وعلاج الرق في كتاب مستقل قام به الأستاذ عبد السلام التزمايني في سلسلة عالم المعرفة، فليراجع هناك.(¹)

الآيات التي تتحدث عن المحلية:

قوله تعالى: “ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ” (الشعراء:214)
وقوله تعالى: “ إنا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ” (فاطر:24)
وقوله تعالى: “ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَبِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (النحل:36)
وقوله تعالى مخبراً عن عيسى: “ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (الصف:6)
وقوله تعالى: “ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ” (البقرة:129-128)
” لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ” (آل عمران:163)
” لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ” (التوبة:128)

” وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (الأنفال:33)
وقوله تعالى: “ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات:13) ونرى أنهم لم يلتزموا مطلقاً في موضوع الأفضلية للاتقى، ففي خلافة أبي بكر قالوا إن العرب لن تدين إلا لرجل من قريش، ولم يلتزم بها الشيعة ولا بني أمية مطلقاً ولا العباسيون ولا العثمانيون ولا المالكيون ولا غيرهم، فالآية محل تنظير فقط، لا محل تطبيق مطلقاً.
وقوله تعالى: “ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ” (الزخرف:31) لقد قال

دواعي مودعها جاهلي كما كان الموقف من حال من الوليد عند نداءه لتولية الخلافة إذ عزله عن إمرة الجيش
1- وهك أمثلة كثيرة في التاريخ على أن الإسلام يدعو لمعاملة الأرقاء منها: عتق أبي بكر الصديق بلالا بن رباح ، كما هو مشهور! لقد اعتقه من باب الرحمة والواصل في النبي، فقد كان أمية بن خلف يطحر بلالا في الرمضاء ويلي على صدره الحجر ، وهو يقول أحد أحد حتى أعتقه السيد القرشي

الوليد بن المغيرة: أينزل على محمد وحى وأترك أنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود الثقفي ونحن عظيمنا القريتين مكة والطائف؟ ولما قال الأحنس بن شريق لأبي جهل: وكانا قد سمعنا القرآن مع أبي سفيان ليلاً من النبي: " ما رأيك فيما سمعنا من محمد؟ أجابه: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق. ونزل في ذلك قوله تعالى: " وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلَ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ مِمَّا كَانُوا يَمْكُرُونَ " (الأنعام :124) والملاحظ حول ذلك أنه زعم أن بني عبد مناف قالوا منا نبي، ولم يقولوا ذلك، فأغلب أعمام الرسول لم يؤمنوا في هذا الحين، كان أبو طالب على دين الآباء وأبو لهب يناسب ابن أخيه العداء، والعباس يتستر ولم يعلن إسلامه إلا قرب الفتح، وحمزة آمن في مرحلة متأخرة من الدعوة في مكة، ولم يكن من المسارعين، وأبو جهل لم ير في الدعوة إلا خصوصية إثنية كما رأى الوليد بن المغيرة من قبل، فهم نَفَسُوها عليه، ورأوا أن شرف النبوة مقصور على العرب فقط.

سنجد أن النفاق كله كان عربياً، ولم يقتل الرسول (ص) منافقاً واحداً، بل توسل إليهم وظل على أمل في أن يهتدوا حتى صلى على بعضهم ونهاه الله فقال: " وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَهُمْ فَاسِقُونَ " (التوبة:84) وقيل إنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول.

" إن الدين هو الوضع الإلهي الذي اختاره الله لعباده ليصلحهم في الحياتين، ويكون عالمياً بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص أو بيئة معينة. وبامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه، بمعنى أن يكون صالحاً لكل جنس وكل جيل، أو لكل زمان ومكان، أو بمعنى آخر يكون الدين شريعة الإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة التي لا تدخل في ماهية الإنسان كإنسان، ومن دون ذلك لا يتحقق معنى العالمية في أي دين"⁽¹⁾.

ونحن نتحدث عن الأديان السماوية فحسب ها هنا، ولذا نؤكد أن اليهودية لا تصلح أن تكون ديناً عالمياً؛ لأنها مرتبطة بشعب معين، تعرض للتشريد غير مرة، تقوم حياته على العصبية الحادة

1- عطية صفر: الدين العالمي وشيخ الدعوة إليه، م، ص، ١٣

والعنصرية الجامحة، ذلك بأنهم يحاولون أن يستأثروا بعبادة إله وصفوه بأوصاف خاصة، ويعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن غيرهم أميون، ويستبيحون من غيرهم ما لا يستبيحون من أنفسهم كالربا. قول تعالى: “ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ” (المائدة : 8) وقوله تعالى: “ وَقَالُوا لَن نَّمَسَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ” (البقرة/80) وقوله تعالى: “ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَّيْبُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ” (التوبة:30)⁽¹⁾

والمسيحية عند تقرير العقيدة لا تعتمد على الدليل المقنع، بل توجب أن تؤخذ بالتسليم المطلق، والعقول في تطورها جرياً على سنن الله الكونية، تأتي أن تظل حبيسة التقليد أو التلقين.

وليس في المسيحية نص على عالميتها، وما نشطت الدعوة إليها إلا بعد اعتناق الرومان لها، وقد بقيت ثلاثة قرون محصورة في طوائف مبعثرة، ولم تقم لها دولة إلى أن تولى الامبراطورية الرومانية (قسطنطين الأول) وكانت أمه قد رتبته على المسيحية فحمل قومه عليها، وأمر بتحطيم الهياكل والمعابد الوثنية، واعتبر النصرانية ديناً رسمياً للدولة، وقد قيل إن روما لم تنصر بل ترومت النصرانية. وقد أبلغ عيسى أنه لم يُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة“ (إصحاح 15: 29-21).

السنة النبوية :

وردت بعض الأحاديث عن النبي تتحدث عن الدعوة، ولكنني لن أهتم بها؛ لأن القرآن منه المكي والمدني بشكل واضح، أما السنة فخلاف ذلك، كما أن من يقرر عالمية الدعوة أو محليتها هو صاحبها، غير أنه لا بأس من الإشارة إلى بعض تلك الأحاديث ومنها قوله(ص) قوله: إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة“ وقوله(ص): “ تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي“. وفي رواية: “ وعترتي من أهل بيتي“. قوله (ص):“ مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية

¹ أخذ بنحو شخص ويقول : أنت تتجح بالآيات القرآنية ولا تنكر شيئاً من الكتاب المقدس في معرض الحديث عن اليهود والنصارى، وهذا حق؛ وبسبب عني إلى القرآن فيه مقارنة بين أنواع البينات المختلفة ، خلافاً للكتاب المقدس، فعين أنكر أية من القرآن يأتي الحديث فيها عن المسلمين ويهود والنصارى ، باعتبار فقرنا متأخر زمنياً في النزول عن الكتاب المقدس، إن لم الكتاب المقدس لم يوجه أي جهد للبر، بل ربما ذكرهم نكتاً يسيراً ، أما القرآن فقد امتلأت سورة المكية والمدنية بالحديث عن اليهود والنصارى

من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة !! فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين“ (رواه البخاري ومسلم).

إن عالمية الدين كما قدمنا إذا كانت شريعته موضوعة لصالح الإنسان من حيث هو إنسان، ومعنى هذا أن تكون شريعة الفطرة التي فطرَ الناس عليها، وقد قال الله تعالى في شأن الإسلام: “ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: 30). والقول السابق أُخذ من الآية فهو مجرد صدى لها لا يقف حجة بها أو لها. (لا يكون الشيء عالمياً بمجرد أن يقول إنه عالمي، كما لا يشفى المريض من مرضه إذا اعتقد في نفسه ذلك، وكان المرض متمكناً فيه، فالقول بعالمية الإسلام جاءت في مرحلة متأخرة حين نظر العرب إلى العالم كله على أنهم إما دار الكفر المخلدون في النار أو بلاد تحت طاعتهم فهم عبيد لهم وقد سادوا على الأمم بفضل امتيازهم على الناس، ولهذا سمحوا بنشر الدين فيه يسودون الناس. - وفي وفاء التشريع بكل القطاعات، وقد قام الإسلام على تنظيم العلاقات بين الإنسان وبين الله، وبينه وبين الناس، وبينه وبين نفسه في المجال الاقتصادي والخلقي والثقافي والسياسي، وسائر المجالات“ مصداقاً لقوله تعالى: “ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ” (المائدة: 3) وهي من الآيات الدالة على المحلية؛ لأنه يتحدث بضمير المخاطب (لكم) أي العرب. - الإسلام دين السلام، والقاعدة عنده هي السلم.

* الأدلة الواقعية على عالمية الدين الإسلامي:

- أوامر التبليغ:

قال تعالى: “ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ (قومك) ” (المدثر: 1-2)⁽¹⁾ وأمر التبليغ كثيرة منها قوله تعالى: “ وَتَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ” (آل عمران: 104) وهذه الآية لم يلتزم بها المسلمون في فتوحهم، فهم قالوا: إما الإسلام أو الجزية أو الحرب، ولم يرسلوا المبشرين أولاً لدعوة الناس وحملوا الأمم على الدخول في الحكم الإسلامي، وليس الدين الإسلامي، حتى إنهم قد انزعجوا لكثرة الداخلين في الإسلام

١-الدعوة بسبقها الشهيد الفكري والتلميذ، وما كان في قلبي أقصد العظام قبل الدعوة لا يرقى لذلك، فهم لم يوجهوا سهماً لمكة وقرش، واليهود، بل بحثوا عن المخلص أنفسهم وشتتوا كما نعرفه، حتى بعد أن دحهم الإسلام تصرف في الحشنة

توافرت به بعض الأسباب الصالحة لعاملته وهي:

- ١- القوم الذين يحملون عبء الدعوة العالمية لابد أن تتوافر فيهم صفات تناسب هذه المهمة الضخمة، من الصبر والتحمل والمخاطرة والشجاعة واحترام العهود والنجدة والمروءة وحب الحرية... وما كانت المصادمات الأولى التي حدثت بينهم إلا نوعاً من العناد.
- ٢- اللغة العربية التي كانت اللغة الرسمية للدعوة الإسلامية، والتي تأسست جذورها في الجزيرة العربية، وقد تحدث العلماء في فضلها ومكانتها العالية الرفيعة.^(١)
- ٣- المكان الذي بُعث فيه النبي أولاً له صلاحية كبيرة لانطلاق الدعوة منه إلى العالم كله؛ فالجزيرة العربية في مكان وسط يتصل بآسيا وأفريقيا وأوروبا.
- ٤- إن الجزيرة العربية بها البيت العتيق، أول بيت وضع للناس، وبناه أبو الأنبياء إبراهيم، الذي تدين له جميع الأديان المعروفة في ذلك الوقت.^(٢) وفي انطلاق الدعوة منه إشعار للعالم بأن رسالة محمد (ص) منبثقة من هذه الرسالة التوحيدية الأولى.
- ٥- كانت الأديان الموجودة في العالم ممثلة في بلاد العرب في ذلك الوقت، فكان فيها اليهود، والنصارى، والمجوس، والوثنيون، والصابئة، وعبد الجن والملائكة ومن إليهم. وقد وقف الإسلام في مواجهة هذه الأديان ليظهر عليها كلها.(الجزيرة ملخص العالم)

هناك بعض الحقائق التاريخية التي لا يمكن الفكك منها وهي:

- العقلية القبلية والصراع القبلي على السلطة. (لقد بدأ الإسلام ديناً قبلياً ثم تطور فصار قومياً، يحمل بذور العالمية، ولكنه غاص في أحوال العصبية القومية التي تنازعت السلطة، ثم العصبية القومية من بعد ذلك، ثم العصبية العالمية بين الدول وصار للإسلام عدة دول تدعي الخلافة الإسلامية ، ثم تتوقع فعاد مظهرًا شكلياً للتدين لا يصمد كثيراً أمام العصر الجديد ومتطلباته الراهنة)
- الدعوة الإسلامية، دين أم دولة؟ الواقع أنها بدأت دولة، ولها مقر للخلافة، فكان أبو بكر ومن ورائه عمر وعثمان يرسلون الجيوش للغزو والإغارة ويطالبون الدول التي لن تستجيب لهم بالدخول في الإسلام ودفع الجزية أو تحاربهم، وكانت الحرب هي مطلوبهم حتى يأخذوا كل شيء يجدونه ويحكمون تلك البلاد حكم الفاتحين، وقد يهون من ذلك معضلة فتح دمشق أفنحت عنوة على يد خالد بن الوليد أم صلحاً على يد أبي عبيدة بن الجراح، والغالب أنهم لم ينشروا الدين واللغة إلا بعد مرور أكثر من قرن على دخول تلك الدول تحت حكم الدولة الإسلامية.

١- أخذ عنهم من تلك أن القرآن كان موجوداً باللغة العربية في السماء لما أراد الله أن ينزل آياته المزمع الذين تحشرون بها فقرأه إليهم وهذا تكبر صهيبي
٢- أكد هيرت بوسه العالم الألماني أن البيت العتيق (الكعبة) لا تعرفه البرورة ولا الأجنحة مطلقاً، ولا يعرف أصحاب هذه الأديان بأن إبراهيم هو من بناه، ونحن لا نرى اليهود يتكبرون البيت العتيق في أديانهم مطلقاً، ولا يهتمون بها مقدار ما يهتمون بطور سبناه مثلاً أو المسجد الأقصى أقصى أسماهم وملغ أميائهم، فالحنيت عن عالمية الكعبة يهودية - مسيحية - إسلامية) هو قول المسلمين دون اليهود والمسيحيين (وقد ذكرناه في هذا السفر)

” (التوبة:29) (1) قوله تعالى: “ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ” (البقرة /190) وقوله تعالى: “ الشَّهْرَ الْحَرَامَ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ مِثْلَ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ” (البقرة/ 194).

ورداً من بعض الأمم التي كانت لها حضارة هدمها الجيش المسلم في فتوحه، فقد ظهر في التاريخ ما يُعرف باسم الشعوبية: وكانت الشعوبية إصباعاً من أصابع الهدم لبناء الإسلام، والعودة به إلى عهد الجاهلية حيث التعصب للأنساب والأحساب، واتخذت هذه الحركة مركزها في فارس على الباب الشرقي لدار العرب، فظل الفرس متمسكين بماضيهم البائد، ممتلئة قلوبهم حسرة على ضياع مجدهم السياسي، على الرغم من قيام دولة إسلامية كبيرة في بلادهم وعلى أكتافهم وبجهودهم (دولة بني العباس) وتبنوا المذهب الشيعي الباطني على ما سيأتي في الفصل القادم للنيل من الإسلام وهدم أركانه، وإوهانه، وقد رأينا أنهم كانوا يحاربون الدولة التركية، واضطروها للعودة وترك مجاهدة وفتح فيينا عدة مرات. ومن الجدير بالذكر قصر مفكري المسلمين الشعوبية على المنظور السياسي فحسب، فالأخطر والأدهى أن الشعوبية كانت لها أصابع فكرية ودينية في الإسلام أشد من التشيع المذهبي، والأخطار السياسية المحدقة، ومنها: أن أغلب علماء اليهود العربية ومن وضعوا لها القواعد كانوا من الفرس، وكذا المؤرخين (الطبري) والمفسرين الكبار (الزمخشري - الطبري) وغيرهما الكثير) وفي مجال الفقه (أبو حنيفة الذي يعود أصله إلى رجل كان خادماً لبيت النار في المجوسية وقد مَسَّ أصله الرحا) ومجال الحديث (البخاري وغيره) واللغويون (النحاة) (سيبويه - أبو علي الفارسي - الخليل بن أحمد الفراهيدي) والأخير من وضع علم العروض والقوافي المعروف بموسيقا الشعر.

1- يقول في كثير من هذه الآيات - وقوله تعالى - "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يبيئون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم وصاعرون" فهم في نفس الأمر لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله وإنما يتبعون إرادهم وأهواءهم وأهواءهم فيما هم فيه لا لأنه شرع الله وجديهم. لأنهم لو كانوا مؤمنين بما يؤمنون إيماناً صحيحاً لقاتلهم ذلك إلى الأيمان بصحت صلي الله عليه وسلم إلى جميع الأديان بشرطه وأمره وأبداً يعاديه فلما جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل علم أنهم ليسوا بتامسكين بترفع متمسكين بالأديان الأقدمين لأنه من عند الله أن لحفظهم وأهوائهم فهذا لا يتعمق إيمانهم بيقية الأديان وقد كفروا بسيدهم وأقصنهم وختانهم وأكاهم، ولهذا قال "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يبيئون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب" وهذه الآية الكريمة أول الأثر بقال أهل الكتاب بعدما نعمت بأمر المشركين وحقن الدماء في ذلك الأوقات واستقامت جزيرة العرب أمر الله ورسوله فقال أهل الكفايين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة سبع وهذا شهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم ودعا الناس إلى دين الله وأظهره لهم ويعت إلى أحياء العرب حول المدينة فقبلوا به وجمع من المقلدة نحو من ثلاثين ألفاً وتحلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم وكان ذلك في عام حجة ووقت قبض وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الشام لقتال الروم فبلغ تزول قبره وأقام بها قرأياً من عشرين يوماً ثم استأجر الله في الرجوع فخرج معه ذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سيأتي بيانه بعد إلى شاءه الله تعالى وقد استنلت بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا يزال للجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كما يجوز أصح فهم الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب المشافعي وأحد في المشهور عنه وقوله أبو حنيفة رحمه الله إن تؤخذ من جميع الأعلام سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب وقال الإمام مالك إن يجوز أن تصرف الجزية على جميع الكفار من كفايي ومجوس ووثني وغير ذلك ولما أخذ هذه المناهب ولكن أخذها من غير هذا والله أعلم وقوله "حتى يعطوا الجزية" أي إن لم يسلموا "عن يده" أي عن رقبته وهم عليه "وهم صاعرون" أي يذلون خيرون مهانون فهذا لا يجوز إجمار أهل السنة ولا يرفعهم على المسلمين بل من أدلة صفة اشتباه أهل جاه في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لا تشبهوا اليهود والنصارى والمذموم وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاقضوه له ما آذاه حتى يسلموا" وكنت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصرارى من أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب تعد الله عزير أمير المؤمنين من نصرارى منية كذا وكذا إنكم لما عدتم على سائلكم الأمان الأمانا وذر الأمانا وأموالنا وأهلنا مشأ ومرطفا لكم على أنفسنا أن لا نحتفي في مدينتنا ولا فيما حولها مرة ولا كيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجد ما حرب منها ولا نخصي منها ما كان حطفاً للمسلمين والألا نكتسبنا أن يترأها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار ولا نبيع أوقايها لمرة وبني السيل وإن يزل من من رأت من المسلمين ثلاثة أيام نطمعهم ولا نوري في كستاننا ولا مارحنا جاسوساً ولا نكتم عشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نطلعهم شركاً ولا ندرع إليه أحداً ولا نبيع أحد من ذوي أيماننا النحول في الإسلام إن أرادوا أن يفرق المسلمين ولا نقرهم أحد من مجانسنا إن أرادوا الطروس ولا ننتبه بهم في شيء من ملائيمهم في قسوة ولا نعلمه ولا نلغي ولا نقر شيء ولا نكتم بكلامهم ولا نكتم بكلامه لا نركب المروج ولا نلتفت السيوف ولا نلتفت شياً من السلاح ولا نلحمه معاً ولا نلتق حواشيها بالمسلمين ولا نبيع الحصور وإن نلصق مقابلهم وروسماً وإن نلزم ترأها شياً حكماً وإن نلتق ثرائقهم أو لوميطهم أو لا نظهره صليب على كستاننا ولا نلتقهم صلباً ولا نكسا في شيء من طرق المسلمين ولا نلصق أوقايها في كستاننا إلا ضرباً خفيفاً وإن لا نرفع أصواتنا بالراة في كستاننا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعيقين ولا نعاونوا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر الثيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أوقايهم ولا نلحمهم بموتنا ولا نلحمهم في الرقيق ما جرى عليه منبهام المسلمين وأن نرتد المسلمين ولا نطلع عليهم في جنازهم فلا قلنا أتيت عزير بالكاتب راقه ولا نصرب أحد من المسلمين شرطاً ملك ذلك على أنفسنا وأهلنا صلواتنا عليه

وهؤلاء قد عاقوا اللغة أكثر مما أفادوها، واليوم نجد أنهم من وضعوا التععيد للغة النموذجية التي نجدها تخالف في الكثير من الأحيان القرآن الكريم - كما سبقت الإشارة في القسم الأول - والحديث عن وضعهم الأحاديث عن النبي مشهور وغير محط انتقاد، وقد ساعدوا على إدخال الإسرائيليات في التفسير، وسنجد الإسرائيليات كثيرة في التفاسير التي جاءت من عند البلاد التي كانت ذات حضارة غلبت عليها الدولة الإسلامية الناشئة، وسنجد كل الفرى التي تطعن في الدين الإسلامي تأتي من قبل هذه البلاد، ولم يكن غريباً يلتمسون الملك ولو على حساب الدين أن يعتمدوا في طلبه على أهل خراسان الذين يجهلون العربية ويطلب صاحب الدعوة من أبي مسلم الخراساني أن يقتل كل من صار طوله خمسة أشبار يتحدث العربية في خراسان؛ لنلا يطلع أحد على الدعوة ويعمل على إفشالها، فالملك أهم، وقد رأينا في بلاط الدولة العباسية أن الفرس لهم اليد الطولى ولم يستقم الأمر لأبي جعفر المنصور حتى قتل أبا مسلم الخراساني وقال: اليوم استقام الملك لبني العباس، ثم جاءت أسرة البرامكة، ونكبتهم على يد هارون الرشيد، ثم صار بعد قليل الخلفاء لعبة بأيديهم على ما هو معروف في كتب التاريخ، وقد كانت الأفكار التي تفتت في عضد الدين كلها من الشرق سواء من الهند أو الفرس وفي هذا كُتِبَ الكثير.

النبوة وراثته:

قد يكون من غير المألوف الحديث عن أن النبوة لا تكون بعد إبراهيم عليه السلام إلا وراثته من نسله هو وحده فقط، وقد لفت الرسول بعض الأحاديث إلى هذا المبدأ حيث قال: " عن أبي هريرة عن النبي(ص) قال: " بُعثتُ من خير قرون آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه " وروى مسلم بن واثلة بن الأسقع عن النبي(ص) أنه قال: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(1)

أورد بن كثير في البداية والنهاية هذا الحديث: " وخطب النبي(ص) فقال: " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي، فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً"(2)

١-المفصل في المواهب، ج١، ص٣٢٠
٢-بن كثير البداية والنهاية، دار المعقبة، ٢٠٠٧م، مج١، ج٢، ص٢٨٥ أخرجه البيهقي في الدلائل بإسناده ضعيف

من الحديثين الشريفين السابقين (فقط - وغيرهما في المجال ذاته كثير) يتضح بجلاء أن هناك سلسلة واحدة من التنقل في الأصلاب والأرحام المحددة، حتى انتهى الأمر فيها إلى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم... بن عبد مناف... حتى إسماعيل بن إبراهيم أبو الأنبياء التاليين جميعاً.^(١) وكذا لدينا حديث قال النبي (ص) عن مبدأ الاختيار بشكل أشمل وأكبر: "إن الله اختار خلقه فاختر منهم آدم، ثم اختار بني آدم فاختر منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل خياراً من خيار، ألا من أحب العرب فبجبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم" وهذا حديث ضَعَفه العلماء.

ومن بين الآيات القرآنية التي تشير إلى تلك الحقيقة قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (آل عمران: 34-35) وظاهر النص يوضح أن الله لم يقم بعملية الاختيار، فالاختيار يكون من متعدد، بل اصطفى مباشرة، والاصطفاء قد يكون معناه- فيما أفهم - إضفاء صفات جديدة على المصطفى لم تكن موجودة فيه من قبل بسبب عملية الاصطفاء ذاتها، والاختيار لعله يكون بسبب ما في العنصر الذي تم اختياره من فضائل ومميزات رجحته على غيره، وهنا نلمح أن الاصطفاء تمَّ بالتعاقب، واصطفاء آدم، كان على غيره من الخلائق - كما أشار الحديث السابق - ثم اصطفى نوحاً وذريته وهلك بقية الخلق عدا ذرية نوح المؤمنة كما هو مشهور ثم اصطفى من ذرية نوح إبراهيم عليه السلام وذريته وقد والحديث هنا عن ثلاثة أشياء:

الأول: أن إبراهيم وإسماعيل يرفعان القواعد من البيت الحرام، وهو ما تؤمن به العرب ولا يؤمن به بنو إسرائيل - مطلقاً- ولا يؤمنون بسفر إبراهيم عليه السلام إلى أرض الحجاز- لن نبحت تلك الجزئية- والقرآن يحترز في الألفاظ؛ فيذكر أنهما يرفعان القواعد ولم يقل يبنيان - مثلاً- لوجود دلائل كثيرة على أن بناء البيت الحرام كان قبل ذلك بمئات السنين، وهذا ما حكاه القرآن إذ قال: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ" (آل عمران: 96) وبالتأكيد الناس سبقوا إبراهيم، وما يُقال عن أن آدم هو من بناه أو الملائكة قول مطول لا سبيل إليه الآن.^(٢)

الثاني: أن النبيين قد توجهوا إلى الله تعالى بالدعاء أن يجعلهما مسلمين وأن يجعل الدعوة والرسالة في ذريتهما. (وبنو إسرائيل يبنون اختيار الله لهم وتفضيلهم على غيرهم لهذا النسب، حيث إن إبراهيم

١ ليس من قبيل المستغف أن يكون اليهود والعرب أكثر الأمم في العالم (بل الأستين الوحيين) اللتان تحفظان علوم الأنساب، وقد مرَّ أن اليهود كانوا لا يقبلون دعوة إصلاحية ولا يدينون لأحد إلا من أبناء يعقوب(إسرائيل) والسبب الأكبر في رفضهم الإيمان بمحمد بن عبد الله لما خرج، أنه لم يكن من بني إسرائيل، فهم يظنون أن إسرائيل وحده من يمتلك أسبوه النبوة والرسالة وبالتالي مفتاح الجنة، وكذا نجد أن العرب يعبرون بالأنساب التي يحفظونها، ولا يدعون ومن يدعي لنفسه لسناً غير نسبه فإنه يكون مرتدلاً ومهجوراً ومسطقاً، وقد رأينا الدولة الأموية قائمة على النسب، وكان أبو بكر نشابة، وقد سأل هرقل أبا سفيان عن نسب النبي في المحاوراة الشهيرة، كل هذا يؤكد لنا أن النسب والورثة أمر هام عند الإبراهيميين في النقل للدعوة والنسب الذي أراده في رفض العرب - اليوم - للإسلام أنه خرج من أبناء عبر أبناء إسرائيل، وإيما جاء من العرب - لطفة العرارة الأجداد -، وهكذا ينف مبدأ الورثة والمناكب عليه ونسبه النبي لإبراهيم الحد - الذي يلتقي به العرب مع بني إسرائيل - قيمته في تأكيد نبوة محمد ورثة يلقاه الأقباط الأقباط الكبار، وليس من باب المصادفة أن يكون إبراهيم أباً الأنبياء الخلفاء - دع الحزير عليم عد القدر، قصة البيت الحرام، مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠٠٧، أرخ للبيت الحرام، حتى اليوم الراهن وكذا كتاب محمد محمد الحسيني، أحداث في حجة سيدنا إبراهيم، مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠٠٥

أنجب إسحاق وإسحاق أنجب يعقوب الذي سُمي بعد ذلك إسرائيل الذي أنجب اثني عشر سبطاً، كما هو مشهور في سورة يوسف والعهد القديم ، وغيرهما)
 الثالث: دعوتهما أن يخصّ الله تعالى تلك البقعة المباركة بنبي ورسول يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وهذا النبي هو محمد بن عبد الله، وقد يكون قطع الصلة هنا أن هناك أنبياء آخرين جاءوا في تلك البقعة، منهم شعيب، وصالح، وهود، ولكن القرآن يتوجه إلى القول بأن المقصود محمد، وإن لم يختلف أحد على أن الأنبياء الذين ذكرتهم من ذرية إبراهيم أيضاً.

و"في مواضع عديدة من القرآن تم إحصاء قوائم بأتباع الديانات التي اتصل بها محمد(ص)"⁽¹⁾ ويشار إليهم بأنهم جميعاً مؤمنون، وهم إلى جانب المسلمين: اليهود والنصارى والصابئة، حيث يقول الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة/ 62). وربما يقصد بالصابئة: المندعيين أتباع طائفة المعمدان المستوطنة في جنوب بلاد النهرين⁽²⁾، وتغير ترتيب القائمة في المائدة حيث يقول تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (المائدة: 69) حيث تمت الإشارة إلى النصارى بعد الصابئة، كما أن هنا لطفة لغوية دقيقة برفع الصابئون وحقها النصب اسم إن، وتوجد في سورة الحج قائمة ثالثة ذكرت الصابئة والنصارى بالتتابع نفسه المذكور في المائدة، وأضيف إلى القائمة الثالثة جماعة المجوس وأشير في النهاية إلى الوثنيين.

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (الحج: 17)

وبذلك يصل خط المنحنى من المسلمين إلى المشركين، وأخذ أتباع ديانات الوحي القديمة وضعاً وسطاً بين النقيضين. وتنتهي القوائم في سوري البقرة والمائدة بشهادة مرضية (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحاً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (من يوم الحساب) وهم مثل المسلمين مرشحون للخلاص. ويعد الوضع مخالفاً في سورة الحج، فالمجموعات

١- هيرت بوسه. أسس الحوار في القرآن الكريم ، ترجمة أحمد محمد هويدا، المركز القومي للترجمة، ط ٢٠٠٩، ص ٦٤٤
 ٢- كلمة صابئة من صبا، أي حرج عن دينه، وهم قوم كانوا يعبدون التواكب في المشهور ، مفرم في حران بين النهرين ، حرج عنهم علماء وفلاسفة ومعلمون وبنسب الكتاب للشاعر أبو إسحاق الصابئي، وقيل : في رفع الصابئين " : نزلوا استنسابية بالصلبئون رفع على الإثناء بحرف محذوف ، ولقية به الناحير كما في "الن" من اسمها وحرفها ككلمة فين إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كما بالصابئون كذلك، هذا ما رجحه سيوريه في مخالفة الإعراب بواشئ شاعدا له .

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغيّة ما بقينا على شفاق
 أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك

محي الدين درويش إعراب القرآن الكريم ، دار المصانعة ، عين كبير ، بيروت ، ٢٠٠٢م، مجلد ٢، ص ٢٧١
 وقد ذكر بن كثير في تفسيره أن الصابئون طائفة من النصارى والمجوس ليس لهم دين والحلاف حولهم شديد

الست أي: المسلمون واليهود والصابئة والنصارى والزرادشتيين والوثنيين، تعرف بأنها تمثل جماعات مؤمنة ذات ملل مختلفة، ويكون المضمون سلبياً بصورة عامة، وعن الاختلافات الموجودة بينهم فإن الرب سيقورها يوم البعث، بناءً على ما قيل في نهاية الإحصاء.^(١)

وبوسعنا أن نلتفت إلى القضية من ناحية إذا كان المسلمون وأتباع ديانات الوحي الأخرى يمثلون مجموعة متميزة مقابل الوثنيين الذين يمثلون المجموعة الأخرى، وفي هذه الحالة يصبح الحكم إيجابياً على أهل الكتاب. إلا أن هذا ليس هو المقصود كلية. ويستنتج من مقارنة الصيغة الختامية للقائمة الثالثة بالقائمتين الأخرين أن محمداً (ص) غير موقفه وتتصل من أهل الكتاب. وهذا ما أشرنا إليه آنفاً، من ضرورة الفهم القرآني في ضوء التطورات السياسية. وقد رصدنا تطور الخطاب القرآني لبني إسرائيل وأهل الكتاب ثم اليهود.

وقد حذر محمد (ص) - كما أشار القرآن - المؤمنين باللاح من الانقسام إلى طوائف مختلفة، حيث يقول الله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (آل عمران: 103) وفي الواقع فإن البشرية لا تزال منقسمة إلى أمم دينية مختلفة. أما في الإسلام فقد تحقق نموذج الوحدة: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مِثْلَينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَهَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (هود: 118-119)

وتدخل في هذه الصياغة تعاليم القدر: الرب أراد أن توجد طوائف دينية مختلفة، فالمسلمون الذين رُحِموا باتباعهم العقيدة الصحيحة والوحدانية، كانت الرحمة مقدره لهم فعلاً قبل وجودهم، لذلك (أي للرحمة) خلقهم الرب، ولذلك تمَّ وضع نموذج آخر للتعدد الديني وهو أن الانقسام لم يتسبب فيه البشر بل هو إرادة الله (الأنعام: 149-136، الرعد: 21) وإذا كانت هذه هي إرادة الرب فمن الضروري أن يحترمها البشر (لكلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن قَسَمَكُم إِلَىٰ جَمَاعَاتٍ مُّخْتَلِفَةً) لِيَبْلُوكُمْ (من الوحي) فِيمَا آتَاكُمْ" (المائدة: 48)

ويمكن أن تفهم الآية في الزمن الحاضر بأن أراد مقابل تمنى أن يريد، ويقسم مقابل قسم... إلى آخره.. وفيما بعد يوصف الوضع الدائم. وما أن الرب يصدر عنه الخير فقط، فيجب احترام تنوع الطوائف المؤمنة، ويوجد في الاقتباس التالي استحسان إحدى العقائد القائمة على الوحي (لكل جعلنا

١- هزبرت بوسه، أسس لحوار، ص ٦٦

منكم شرعة ومنهاجاً) ويمكن رؤية معنى التعدد الديني على النحو التالي: "إن الرب يريد أن يضع البشر تحت الاختبار، وعلى المؤمن في التعدد الديني أن يعرف إرادة الرب وحكمته، حتى وإن كان لا يدرك هذا، وفي هذا النطاق ينبغي للمرء أن يفعل الخير كما ترسمه العقيدة، وينبغي له أن يسلك تجاه الديانات الأخرى مسلماً بسيطاً، والقرار في من يعتنق العقيدة الصحيحة هو: أن الرب سوف يخلصه عند الحساب:" فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (المائدة:48)

فالتعددية الدينية نشأت إما عن طريق المشركين من البشر، وإما أنها إرادة الرب، ويرجع النموذج الثالث لشرح هذه الظاهرة إلى فكرة التعدد العنصري.

"وقد عُرف محمد بأنه نبي العرب. وكما اعتقد فإنه دعى ليعزل للعرب الرسالة بلغتهم ليتمكنوا من المشاركة في الوحي الذي اختصت به شعوب أخرى من قبل. وبتعبير واضح تأتي قاعدة الاختصاص اللغوي في القول التالي: "وما أرسلنا من رسول (إلى أي شعب كان) إلا بلسان قومه ليبين لهم) (إبراهيم 4): وقد قصد الشيء نفسه لأن محمداً أرسل إلى شعب محدد، وهما أن محمد رُمز إليه بأنه أخوهم يبرز الارتباط الإثني العرقي بين النبي والشعب. وبالمثل فقد كان هود أخا عاد (الأعراف:65) وصالح أخا همود (الأعراف:73) وشعيب أخا مدين (الأعراف: 85) ولوط أخا سكان المدينة أي سدوم."⁽¹⁾

رمز آخر يفترض الارتباط الاثني بين النبي وشعبه:

ويوجد في القرآن إشارة إلى أن النبي ينسب إلى مجموعة خاصة وهو معنى الأخ نفسه، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (الجمعة:2) ولا ريب أن الأميين هم غير الإسرائيليين، وقيل هم الذين لا يقرأون (القرطبي) وقيل هم العرب (ابن كثير) ومن تابعه، والخلاف ليس بالكبير، ولكن أغلب هؤلاء الأميين كانوا وثنيين، لا يعبدون إلا الأصنام والأوثان، والكتاب نزل بالعربية، والتعليم للحكمة كان بالعربية كذلك، وقد تكرر هذا المعنى في آيات متعددة وخاصة القرآن المدني (البقرة:151-129) و(آل عمران:164)

1- عبرت بوسه أسس الحوار، ص ٦٧. وقد قلنا لفظة اللغة وكولها ليست عالمية في السابق، وخلصنا منها، ولكن الكتاب يتعمق الرأي القائل بأن الرسول للعرب وحدهم من خلال الاستشهاد بالآيات الإثنية " (إلى عوا أباهم هوذا قائل يا قوم اعنوا الله ما لكم من إليه عزوه أفلا تتقون" (الأعراف: ٦٥) ، بقره تعالى " (إلى نود أباهم ضلوا قال يا قوم اعنوا الله ما لكم من إليه عزوه قد جاءكم بآية من ربكم هذه نعمة الله لكم إنه قد أهدانا لهذا الذي كنا في الضلال ولا تعلموا ما نسوة فهل تعلمون عذاب اليوم" (الأعراف: ٧٣) وقوله تعالى: " (إلى الذين أباهم ضلوا قال يا قوم اعنوا الله ما لكم من إليه عزوه قد جاءكم بآية من ربكم قالوا الكفر والبرهان ولا تتخضوا أسس لقبائهم ولا تتخضوا في الأرض بعد إصلاحها فلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين" (الأعراف: ٨٥) ويأخذ بالقبس، فما دام كل نبي أرسل إلى أهله وقومه الذي يؤمها أهداء، وكل أبناء بني إسرائيل كذلك، فإن محمداً نفسه يتطرق عليه نفس النهج، وهذا قياس عبر قادم، ولكنه يخرج النبوة الإسلامية من العالمية إلى المحلية بأفئدة قرآنية إيمانية يؤمن بها المسلمون أنفسهم، والحق أن شيئاً كثيراً مما ذهب إليه بوسه صحيح، وكانت القليلة لها تأثيرها في القرآن الكريم والسنة وما تلا ذلك، عبر أن هنا لا يقف وحده، فالدعوة من محمد لقرمه لا مراد في ذلك، ولكنها تتسبب كذلك، على بقية الناس، مصداقاً لقول الله تعالى: "وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِمْ فَخْرًا يَلْقَاهُمْ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ" (المائدة:٤٨)

يلح الكثيرون على القول بإثبات أن النبوة وراثية فقط، يرثها الخلف عن السلف، وقد تواترت آيات في القرآن تشير إلى هذا المعنى، يقول تعالى: “فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ” (الأعراف: 169) ولم يشر الله تعالى في صدر الآية من ورث من، ولكنها سنة الله في النبوات والرسالات، وكذا قال تعالى: “ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ” (فاطر: 32) وقد مر بنا أن الذين اصطفاهم الله هم: آل إبراهيم وآل عمران (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ“ آل عمران: 33) فالذين اصطفاهم الله هم ورثة الكتاب، والكتاب هنا يشير إلى النبوة والرسالة، فالنبوة، بنص الآيات محصورة في تلك الذرية فحسب، ولما كان القرآن قد تحدث بطرق متنوعة عن بني إسرائيل فقد وصفهم بأن منهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كالذين قال الله فيهم: “ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ مَتًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ” (آل عمران: 199) وهناك صنف آخر غير هؤلاء يقول فيهم الله تعالى : “ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ” (الشورى: 14) (1)

وهناك إشارة واضحة إلى وراثية بني إسرائيل الكتاب عن موسى، حيث يقول تعالى: “وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ” (غافر: 53)

فالوحي استمر في التواصل مع وظيفة النبوة من جيل إلى جيل وبالأسلوب نفسه، وعلى سبيل المثال ورث الإسرائيليون الأرض من المصريين يقول تعالى: “ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْبُونَ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ” (الشعراء: 59-53) وكذا قوله تعالى: “ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْشَرُونَ ” (الأعراف: 137) وورث سليمان داود: “ وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ” (النمل: 16) ويوجد إبراهيم في بداية سلسلة

1-والنبي في الكتب التي اريها الله تعالى سمة اسمية للسلفين واللاحق، أي سمة بني إسرائيل والمسلمين (لما هو موجود من اختلافات بيضة بين أهل السنة والشيعة في تأويل وحجج وتفسير القرآن الكريم) ليس هذا الاختلاف بين الشيعة والسنة لما أثار الله تعالى إليه في بعض السور مثل (البقرة 112/253/253) (وآل عمران 190/105) (يونس: 93/93) و(مريم: 110) (والنمل: 64) (وصصلت 45) (والشورى: 14) (والحجاية 17) وغيرها من الآيات التي تشير إلى الاختلاف في الكتب

النسب. (لابد أنه في بداية تلك السلسلة؛ إذ لا تستقيم السلسلة من دونه) وكما يظهر في سورة آل عمران (آل عمران:33) فسلسلة نسب المسيح تعود إلى آدم، وبينما يُشار إلى آدم ونوح على أنهما شخصيات فردية وأنبياء فرديون، فإن الحديث عن إبراهيم يكون عن آل إبراهيم (بما في ذلك آل عمران الذي ينتسب إليهم المسيح) وآمن إبراهيم (مريم:48-41) لذلك وهب إسحاق وفيما بعد يعقوب (فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ” مريم:49) وبما أن إسحاق صار نبياً: “ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ” (الصافات:112) وتخبر الآية (27) من سورة العنكبوت تتابع الأمر بعد ذلك، قال تعالى: “ وَوَهَبْنَا لَهُ (إبراهيم) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ” ولم يقل إسماعيل. ومن الضروري أن يذكر إسماعيل إلى جانب إسحاق والذي يعتبره العرب أباهم الأساسي.

وتمّ عرض قائمة الميراث في سلسلة الأنبياء على النحو الآتي: إبراهيم – إسماعيل – إسحاق - يعقوب- الأسياب (أبناء يعقوب الاثني عشر أي أبو الأسياب الذين يشكّلون في مجموعهم بني إسرائيل) وموسى وعيسى. وجميعهم أنبياء (البقرة:126) (آل عمران:86) (النساء:163 الجزء الأول) واقتصرت القائمة في سورة الشورى على إبراهيم وموسى وعيسى ، ثم في سورة الأعلى (19) على إبراهيم وموسى. وينضم محمد إلى قائمة الميراث التي يشرح فيها أن العرب ذرية إبراهيم ،فإبراهيم ليس مشيد الكعبة (أو مطرها) فحسب(البقرة:127-125) بل أمره الرب ” ببناء الكعبة“ لتكون مقاماً (الحج:26) وظهر إسماعيل في التطور التالي لهذه الرواية، فقد ساعد أباه في أثناء بناء أو تطهير الكعبة، واتخذ مسكناً في مكة وينسب محمد إلى ذرية إسماعيل.⁽¹⁾

- اليهود ومحمد:

أخذ الحوار منذ الهجرة بين اليهود ومحمد(ص) طابع العداء، ولم تدم فترة المعاهدات طويلاً، فبعد حرب بدر مباشرة بدأت الحروب بين النبي واليهود، وانعكس هذا الحوار في القرآن بأساليب متنوعة، ويمكن تقسيم موضوعات الحديث ضد اليهود إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: روايات متناثرة لتدعيم رأي محمد(ص)(قصص بني إسرائيل، وهو قد جاء بوفرة في القرآن

١- هربرت بوسه يقول في شأن الكعبة: “ لا يوجد أي دليل في الكتاب المقدس على أن إبراهيم (وإسماعيل) مشيداً للكعبة تحمل روية إبراهيم أنه أول مسلم ومشيد للكعبة ،عسراً ولحدا في تعاليم محمد من ميراث الكتاب والنبوة ، وهي تستعمل في المقام الأول كدليل ضد يهود المدينة؛ لأن محمداً شرعاً يعد نبياً مرسلًا من الرب للحرب ورتة إسماعيل من إبراهيم ”ص٥٧

وقد فضح القرآن أيضاً سلوك بعض النصارى المادي حين قال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَبْأُكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (التوبة: 34)

ورغم كل ذلك بقي أن نقول إن القرآن لم يبدش حملة عداثة صريحة على النصارى كما فعل مع اليهود، ولم تغالي النصارى كما غالت اليهود، وأكد القرآن في صراحة تامة أن النصارى أقرب إلى المسلمين من اليهود في قول لا يحتمل التأويل: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرَهْبَانًا وَآنَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (المائدة: 82).

أيمكن أن نفهم من ذلك كله أن القرآن بعد أن أثبت أن النبوة وراثية من إبراهيم عليه السلام في ذريته⁽¹⁾ ومقتصرة على إسحاق كما أشار القرآن إلى ذلك مرات عديدة في سياق الحديث عن نبوة يعقوب، ونبوة يوسف، وتولد عن تلك الوراثة الإيمان بالديانة اليهودية، والديانة النصرانية وكناتهما ديانتين من ذرية إسحاق، وأنه لما فشلت ذرية إسحاق (بنو إسرائيل) في السير وفقاً للناموس الأعظم، لم يعد يُجدي فيهم بعث نبوات جديدة، فإن الله تعالى لما علمه فيهم أراد أن تكون النبوة الأخيرة في غير أبنائهم، وفي غير لسانهم، فأرسل محمداً(ص) العربي الأمي إلى الناس؟

قد يكون ذلك القول صادقاً بدرجات متباينة، فمحمد هو آخر الأنبياء وفقاً للقرآن وللشواهد التاريخية، ولم يكذب ذلك أحد، حتى المتبئين في قومه فشلوا في إحراز أي تقدم، ولم يحرز البهائي والباي - حديثاً - شيئاً يُذكر بإزاء محمد ودعوته ونبوته.

ولكن يبقى الحديث عن معاملة محمد(ص) لأهله ومعاملته لليهود المشار إليها آنفاً عائقاً ضد القول بأنه أرسل إليهم جميعاً، وإما هناك تشابهات في الكتب المقدسة (التوراة الإنجيل، وأسفارهما وبين القرآن الكريم كما شرحنا قبلاً) وأن القرآن مهيم على تلك الكتب كلها، ولكنه حجبتها وجبها لا عند اليهود والنصارى بل عند العرب، والعرب لم تكن تلك الكتب قبل البعثة المحمدية ذات بال لديهم، حتى المنتصرون (ورقة بن نوفل ورفاقه) لم ينشروها في المجتمع المكي، ولهذا نقول إن

١- الواضح أمامنا أن إثبات النبوة لأولاد إسماعيل أكثر منها لأولاد إسماعيل، فم بشر القرآن إلا لإسحاق بوصفه وريث النبوة عن أبيه، حيث قال تعالى " قلنا اغتفرلهم وما يعنون من ذنوبهم وهنأ له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً" (ريم: ٤٩) وكذا " ولجئناهم ولوفا إلى الأرض فبى باركاً فيها للعلمين * وهنأ له إسحاق ويعقوب كافةً وكلاً جعلنا صالحين" (الأنبياء: ٧٢/٧١) ولم تكت الإشارة إلى إسماعيل مطلقاً إلا أنه لم يوحده وجاء مذكوراً في سلسلة السب في أكثر من موضع وأشير إليه وحده بالوفاة (الفرقة: ١٧٧/١٣٢/١٣٣، ١٤٠، آل عمران: ٨٤، السماء: ١٦٣، الأنعام: ٨٦، إبراهيم: ٣٩، مريم: ٥٤، الأنبياء: ٨٥، ص: ٤٨) أما إسحاق فكانت الإشارة إليه يوماً تحمل ذريته من ورائه (الفرق) وإشارته فقتة فضحكت ففتقرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (هود: ٧١) وترت تعطي إسماعيل في سورة (يوسف: ٣٨/٦) ويقول يتكلم صريح في سورة الصافات " وبشرناهم بإسحاق نبياً من آلهم وعقراً عليه وعلى إسحاق ومن نزلتهما نخسناً وعظماً لنفسه نبياً" (الصافات: ١١٢/١١٣) ولم تأتي الإشارة إلى ذرية إسماعيل مطلقاً، بل التركيز القرآني كله على ذرية إسماعيل ولا سراة في ذلك لذا، (انظر: (الفرقة: ١٣٢/١٣٣/١٤٠، آل عمران: ٨٤، السماء: ١٦٣، الأنعام: ٨٤، هود: ٧١، يوسف: ٣٨/٦، إبراهيم: ٣٩، مريم: ٤٩، الأنبياء: ٧٢، الحنكوت: ٢٧، الصافات: ١١٢/١١٣، ص: ٤٥)

دعاوى المحلية كثيرة، والقرآن يثبت أن الدعوة للعرب، وإن العرب بعد ذلك أخذوا في فتح الأمصار؛ لأنه لم يعد يصلح أن يعودوا إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام من قتال بعضهم البعض، فصاروا أمة واحدة يحاربون سواهم، باسم الدين الذي ظهر في أرضهم، وقد بدأت بعد وفاة محمد (ص) فتوحات المسلمين المتصلة وتحققت دعائم الدولة الإسلامية، كما نشاهدها أمامنا الآن، ولم تستخدم الفتوحات في البداية أساساً لنشر الإسلام، بل لإرساء سيادة الدولة الإسلامية في المناطق الخاضعة، وكانت هذه الدولة مطابقة للأمة الإسلامية، حيث تطلق السيادة على الإقليم ولكن هذا لا يقوم مقام المساحة المتواضعة، ففي الإقليم نفسه تعيش جماعات إثنية، ففي ظل الدولة الإسلامية عاشت الجماعة اليهودية والكنائس والنصرانية والمجوس والصابئة. (وما يفهم منها)

وفي القرن الحادي عشر تبنى الماوردي علاقات الدولة الإسلامية ببيئته على أساس القواعد المأخوذة حقيقة أو زيفاً عن النبي مع العناية بالتطبيق المتطور خلال القرون الأربعة في نظام واحد والذي يُعدُّ حالياً في الدوائر المحافظة والأصولية مناسباً تماماً.

وقد قسّم العالم قسمين هما: دار السلام فيما يمثل السلام الذروة، ودار الحرب أي ما يوجد خارج السيادة الإسلامية، وبهذا التقسيم للعالم تجد الأمة الإسلامية في حالة حرب دائمة من الناحية النظرية. وطبقاً لنموذج "الرسول" فقد عقد مع أهل مكة صلح الحديبية، أي أنه يمكن وفقاً للمنظور الإسلامي أن توقف الحرب بين آونة وأخرى. على سبيل المثال عندما يكون العدو قوياً والقوات الإسلامية غير كافية، في حين يلتزم المسلمون باستئناف الحرب، عندما تسمح الظروف بذلك، ويجب أن يسبق الدعوة للحرب ضد الكفار طلب الدخول في الإسلام، وقد تبنى الماوردي مقولة: "إن الإسلام أصبح معروفاً في العالم آنذاك بما فيه الكفاية، ولذلك فإن الدعوة ليست ضرورية، ولذلك يجب على المسلمين في كل مكان وفي أي وقت القيام بالحرب ضد الكفار، من دون أن تكون هناك دعوة الكفار قبل ذلك رسمياً، لاعتناق الإسلام أو الخضوع له. وهل كانت الجيوش التي تقف على أعتاب البلاد المفتوحة إلا غازية وراغبة في القتال؟ لقد أرسل أبو بكر الجيوش لتحارب لا لتنداح في جموع الناس تدعو إلى الإسلام، ومتى كان يمكن نشر الإسلام في بلاد الفرس الذين يتحدثون الفارسية لا العربية،^(١) وكان العرب الذين يعرفون اللغات الأجنبية قليلين جداً، فلم يكن من المسموح ترجمة معاني القرآن في فترة وجيزة، وقد نهكت الحروب العرب وولاد أن يجدوا في الانضمام إلى الإسلام مأرباً، فبعد أن تخلصت الخلافة من المرتدين ومدعي النبوة وامنعي الزكاة، من أين تقوم الخلافة بتدبير الاقتصاد

١ يقول الإمام محمد عبده في ذلك الصدد "كاتب الملوك من غير المسلمين إذا فتحوا مملكة أبحروا جيشها للظفار بجيش من الدعوة إلى دينها يلحون على الناس بيوثهم، ويكثرون مجالسهم ليحلّوهم على دين الظفار، ويراهنهم اللثة وحجّتهم الفلّة، ولم يقع ذلك لفتح من المسلمين، ولم يعد في تاريخ فوج الإسلام أن كان له دعوة معروفون لهم وطفية ممتازة يأخرون على أنفسهم العمل في نشره، ويقفون مساعدهم على بيت عقائدهم بين غير المسلمين، بل كان المسلمون يتكلمون بحخالطة من عداهم ومحاسنتهم في المعاملة، وشهد العالم بأنه من الإسلام كان يد مجاملة للمغلوبين فضلاً وإحساناً عندما كان بعدها الأوربيون صمة وضعفاً" رسالة التوحيد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٩، ص ١٥٨

اللازم لهؤلاء؟ فلا بد إذن من إعلان دار حرب ودار سلام؛ للحصول على مغنم، وفي سفر سابق) تأملات) أكدنا على أن أغلب الخارجين في الحروب لا يهتمون بالعقيدة مباشرة قدر الاهتمام بالغنائم المتوقعة، وقد حدث في أثناء الحروب الصليبية على الأراضي الشامية أن كان أغلب الجنود مرتزقة لا عقيدة لهم في الحرب إلا الغنيمة، ولهذا قال البابا: " إن بلاد الشرق تفيض لبناً وعسلاً".

ويقف المسلمون من هذا الطرح موقفاً عنيداً، ويؤكدون أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وأنا لا أدعي أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وإنما الحكم للدولة الإسلامية هو الذي انتشر بالسيف، أما الدين الإسلامي فانتشر بالرحمة.⁽¹⁾

ولم يعد في بلاد الإسلام أي عبادة للوثنية، وكما هو معروف فإنه لم يبق أمام الوثنيين أي اختيار آخر سوى اعتناق الإسلام أو الموت. وعلى العكس من ذلك فقد كان أهل الكتاب أحراراً تماماً في ممارسة عقيدتهم.

وحدثت الفتوحات في البدايات لأقاليم نصرانية زرادشتية كاملة، لكنها لم تكن أعلنت التبشير، ونشأ الإسلام بين العرب، واحتفظ طويلاً بالسمة العربية (طوال الدولة الأموية)، ولما وصل الأمويون للسلطة أسسوا في الجوهر دولة عربية، وساد الدولة طبقة واهية من المسلمين العرب، وعاشوا على غنائم الحرب والضرائب التي جمعت من أهل الكتاب الخاضعين وتفرغوا فقط لقيادة الحرب. وكان العمل بالتجارة والزراعة محرمًا عليهم دائماً، وأقاموا منعزلين عن السكان الأصليين في مدن معسكرات شيدت بالقرب من المراكز القديمة مثل الكوفة والبصرة والفسطاط، وتعد الأخيرة حالياً جزءاً من مدينة القاهرة. (وللأسف لم يتفرغوا للعلم: اللغة، الفقه، التفسير، التاريخ، هناك آحاد منهم نبغوا في كل ذلك قطعاً، لكنه لم يكن شعار الدولة)

فالإسلام كان مرتبطاً بالعروبة؛ لأنه اشترط على الداخل في دين الفاتحين أن يتبع عشيرة عربية كمولي (الجمع موالي) والمعتق للمسيحية يجب أن يتبناه عربي ومن الطبيعي أن هؤلاء الفاتحين لم

1-الناظر للدعوة المحمدية طوال ٢٣ سنة، منها ١٣ في مكة، والباقي في المدينة بعد أن حصد(ص) كان ضعيفاً في الفنون النكي، ولم يستطع مواجهة قريش كلها مرة واحدة بقوة يعتد عليها، وقد فرّ المسلمون الأرا من قريش إلى الحثالة للاختباء من الطش بهم، لما لم يكن لديهم في قريش من محبيهم من العوان عليهم، ثم اضطر الرسول للبحث عن ملاذ آمن، فحقت الهجرة إلى يثرب، وتكوني مجتمع جديد بها بنيت خلافاًه القديمة ويركز في الخلافات المستحدثة، من قال لقريش لم يكن يحدث من قبل، وقال لليهود بنكث من سائر واتصاف عليهم لم يكن يتم حسسه من قبل، والشاهد في هذا أنه في المرحلة المبكرة أس أغلب المبكون (المهاجرون) والنبي أمرا بعد ذلك بعض العرب وتحت قهر السيف(أبو سفيان) عد فتح مكة لموذجا) عدد قليل، هم الملقاة وكثت لظنة اللطاعة شبة، استخدما على بن أبي طالب في مراسلاته مع معاوية، من أسن وهو ضعيف يخفي أيمانه كثيرين، ومن أسن بعد نشوب الحروب قليل، ومن لم يزم في المدينة في مرحلة الدعوة لم يزم بعد نشوب الحروب وتكون منهم فريق السائقين وهم أكثر ذكرا في القران المدني فقط، وأغلب السائقين كانوا أصحاب مباداة على يثرب قبل مقدم النبي، ولم يصبروا شيئاً بعد مقدمه فلم تزم قومه له بسبب المنصر السياسي المنسلط منهم (عبد الله بن أبي بن مولى لموذجا) (وراد النبي أن ينبت للقرشيين أن الإسلام يدهم ولا ينقصهم، ذلك عندما أجزل لهم العطاء من عتامة معركة حنين) وقد رأى الأخصار في ذلك بولكنه وأمامه يعوده معهم لا مع المبكين)

من كل ذلك أقول: إن العرب أصحاب الجيوش لم يعلموا على نشر الإسلام (عمر لم يطلب من عمرو بن العاص نشره في مصر أو في الشام) وإنما انتشر الإسلام بعد ذلك بعشرات السنين بالحملات والدخول في اللغة ومعرفة الدين الصحيح والإصلاح والإطلاع على أنه يحاطل الفطرة السليمة ويلبي حاجات كثيرة للنفس الإنسانية المستقيمة

يستمروا طويلاً كذلك، فلما صار عدد الموالي كافياً، صاروا في وضع مكنهم من أن يظفروا بمطلبهم بحقوق المواطنة الكاملة، وتحت حكم العباسيين الذين نقلوا مركز الدولة من سوريا إلى بلاد النهرين وأسسوا بغداد عاصمة لهم، تطور الدين الإسلامي إلى دين عالمي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وذلك بالوصول إلى المناطق المفتوحة والدفاع عنها.